



تأنيث المقهى في المغرب: سوسولوجيا الحضور النسائي بين التمكين الرمزي والوصم الاجتماعي



This work is licensed under a
Creative Commons Attribution-
NonCommercial 4.0
International License.

لعويده محمد

حاصل على شهادة الدكتوراه في العالم الاجتماع، المغرب

نشر إلكترونيًا بتاريخ: ١٩ مايو ٢٠٢٥ م

into the public sphere. Through in-depth field analysis and theoretical framing, it reveals that this feminization does not signify full emancipation, but rather reproduces new forms of symbolic violence, conditional recognition, and gender commodification.

The study shows that women's presence in cafés is shaped by spatial, cultural, and institutional logics, where fragile empowerment coexists with moral surveillance. The lack of official recognition and media support confirms that the feminization of cafés remains an incomplete process requiring structural and representational change.

Keywords: Gender, public space, cafés, symbolic violence,

الملخص

تتناول هذه الدراسة سوسولوجيا الحضور النسائي في المقاهي المغربية، بوصفه مؤشرًا على تحولات العلاقة بين الجندر والفضاء العمومي. وتكشف، من خلال تحليل ميداني ونظري معمق، أن تأنيث المقهى لا يمثل اختراقًا كاملاً لهيمنة الذكورة، بل يُعيد إنتاج أشكال جديدة من الوصم، والاعتراف الناقص، والتسليع الرمزي.

يتحدد هذا الحضور ضمن شبكة من التمثلات المجالية، والثقافية، والمؤسسية، حيث يتعايش التمكين الهش مع الرقابة الأخلاقية. كما تُبرز الدراسة غياب الاعتراف الرسمي والدعم الإعلامي، مما يجعل تأنيث المقهى سيورة غير مكتملة تتطلب إصلاحًا بنيويًا في السياسات والتمثلات.

الكلمات المفتاحية: الجندر، الفضاء العمومي، المقاهي، العنف الرمزي، الاعتراف، الحضور النسائي، المغرب.

Abstract

This sociological study explores the increasing presence of women in Moroccan cafés as a symbolic entry

recognition, women's presence, Morocco.

* المقدمة

يشهد الفضاء العمومي المغربي في العقود الأخيرة تحولات لافتة في أنماط الحضور النسائي، لا سيما في الفضاءات الحضرية التي كانت تُعتبر تقليدياً امتداداً للهيمنة الذكورية، ومن أبرزها فضاء المقهى. فإذا كان المقهى يُشكّل، في المتخيل الاجتماعي، مجالاً ذكورياً بامتياز يرتبط بالسلطة، التفاوض، الراحة، والتموقع الرمزي، فإن تزايد حضور النساء فيه، سواء كعاملات أو زبونات، يطرح تساؤلات جوهرية حول دلالة هذا الحضور وحدوده، وحول ما إذا كان يشكّل اختراقاً حقيقياً للحدود الجندرية أم يُعيد إنتاج التهميش ولكن بصيغ جديدة.

تأتي هذه المقالة كمحاولة لسبر أغوار هذا التوتر، من خلال دراسة سوسولوجية ميدانية بمدينة القنيطرة والرباط، تستند إلى تحليل تمثلات وتجارب النساء داخل المقهى، كما تُفعل المقاربة النظرية النقدية التي تستحضر مفاهيم العنف الرمزي (بورديو)، الواجهة الاجتماعية (غوفمان)، الاعتراف الناقص (فريزر)، والحدائث الانتقائية (بورقية)، لفهم ميكانيزمات السيطرة الناعمة وإعادة إنتاج التراتبية الجندرية في الحياة اليومية.

ولا تقف أهمية هذا الموضوع عند بعده النظري، بل تنبع أيضاً من راهنته المجتمعية، حيث يُعد المقهى مرآة مصغرة لتحولات القيم والأدوار والممارسات في المجتمع المغربي، خصوصاً في ظل التغيرات الحضرية والاقتصادية المتسارعة، وفي سياق النقاش المتجدد حول الحريات الفردية وحقوق النساء. إن حضور النساء في المقهى، وإن بدا ظاهرياً كعلامة على التمكين والمساواة، قد يخفي في طياته أشكالاً

من التفاوض الرمزي، الأداء القيمي، وضغوط الامتثال للتمثلات الاجتماعية السائدة. وهو ما يجعل من تحليل هذا الحضور مدخلاً لفهم التناقضات العميقة التي تطبع العلاقة بين الجندر والفضاء العمومي في المغرب المعاصر.

* الإشكالية المركزية

تُعيد التحولات التي يعرفها الفضاء العمومي المغربي إنتاج العلاقة بين الجندر والمكان، حيث يزداد الحضور النسائي في فضاءات كانت إلى عهد قريب تُعتبر امتداداً للسلطة الذكورية، كالمقاهي والمطاعم.

غير أن هذا الحضور، وإن كان يدل ظاهرياً على نوع من التحرر، فإنه لا يُعني النساء من الخضوع لتمثلات اجتماعية محافظة تُعيد إنتاج الهيمنة والتمييز، ولكن بصيغ ناعمة ورمزية.

هل يمثل الحضور النسائي في المقهى مؤشراً على التمكين الاجتماعي والجندري؟

أم يُعد شكلاً من أشكال الإدماج المشروط والمراقب الذي يعيد إنتاج التهميش؟

* الأسئلة البحثية

١- ما دلالات الحضور النسائي في فضاء المقهى كما تعكسها تجارب العاملات والزبونات؟

٢- كيف تُعيد التمثلات الاجتماعية السائدة إنتاج الصور النمطية حول النساء في هذا الفضاء؟

٣- ما طبيعة المواقف التي يُبديها أرباب العمل والسكان المحليون تجاه اشتغال النساء أو ترددهن على المقهى؟

٤- ما هي الاستراتيجيات اليومية التي تطوّرها النساء لتجاوز الوصم أو التقييد الاجتماعي داخل المقهى؟

٥- كيف تساهم الخصائص المجالية (الحي الشعبي مقابل الراقي) والثقافية في تشكيل تفاوتات جندرية في هذا الفضاء؟
٦- ما هي حدود التمكين النسائي داخل فضاء المقهى في ظل الهشاشة المهنية والاقتصاد غير المهيكل؟

* أهداف البحث

* الأهداف العامة

١- تحليل الفضاء العمومي من منظور سوسولوجي جندري عبر حالة المقهى الحضري.
٢- مساءلة التوتر بين التمكين الرمزي والهشاشة النبوية في الحضور النسائي بالمقهى.

* الأهداف الخاصة

١- رصد التمثيلات الاجتماعية المرتبطة بالمرأة في فضاء المقهى.
٢- تحليل مواقف العاملات والزبونات وأرباب العمل والمجتمع المحلي.
٣- الكشف عن آليات التراتب الجندري غير المرئية داخل الفضاء العمومي غير الرسمي.
٤- تفعيل أدوات التحليل السوسولوجي الكلاسيكية والنقدية (بورديو، غوفمان، فريزر، بورقية).

* الفرضيات

١- يُعاد إنتاج الهيمنة الجندرية في المقهى عبر آليات رمزية غير مباشرة، رغم تزايد حضور النساء فيه.
٢- يُستخدم جسد المرأة كـ"رأس مال رمزي" يخدم منطق السوق أكثر من منطق التمكين.
٣- تختلف أشكال الوصم ومواقف القبول أو الرفض حسب المجال المحلي (شعبي/راقي) والهوية الاجتماعية للنساء (عاملة/زبونة).

٤- تطوّر النساء استراتيجيات تفاوض صامتة ومؤقتة لإثبات شرعيتهم داخل فضاء المقهى، لكنها تظل هشة وغير مُأسسة.

٥- غياب التأطير القانوني والمهني في قطاع المقاهي يُعمّق هشاشة النساء ويُكرّس إدماجاً غير متكافئاً.

* الدراسات السابقة والفجوة المعرفية

رغم تراكم بعض الأبحاث حول قضايا الجندر والعمل في المغرب، إلا أن موضوع الحضور النسائي في المقاهي، كفضاءات رمزية ومهنية، يظل مهمشاً نسبياً في التحليل السوسولوجي. يمكن تصنيف الأدبيات السابقة ذات الصلة ضمن ثلاث اتجاهات رئيسية: -

١- **الجندر والفضاء العمومي**: الاعتراف دون تفكيك الهيمنة

تُعد أعمال رحمة بورقية مرجعية أساسية في تحليل علاقة المرأة المغربية بالمجال العام، حيث طورت مفهوم "الحدائثة الانتقائية". تؤكد بورقية أن إدماج النساء في المجال العمومي غالباً ما يتم بطريقة شكلية، لا تمس البنى الثقافية والرمزية المهيمنة، بل تعيد إنتاجها بطرق أكثر مرونة: -

"الحدائثة التي تُعاش في المغرب هي حدائثة انتقائية، حيث يتم إدماج النساء في المجال العام بشكل صوري، دون تغيير جذري في مكانتهن في المجال الاجتماعي" (Bourqia, 2020, p. 49).

ينسحب هذا التحليل مباشرة على فضاء المقهى، حيث تُمنح النساء مساحة للوجود، لكن ضمن شروط قيمية واجتماعية تُحد من فعاليتهم الرمزية والمهنية.

* هشاشة العمل النسائي في القطاع غير المهيكل

تناولت تقارير رسمية مثل تلك الصادرة عن المندوبية السامية للتخطيط والمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي وضعية النساء العاملات في القطاعات الهشة، حيث يتركز حضورهن في الأنشطة غير المهيكلية، ذات الأجور المنخفضة، وغياب الحماية الاجتماعية.

يشير (CESE 2018) إلى أن: -

"أكثر من ٨٠٪ من النساء العاملات في القطاع غير المهيكل لا يتوفرن على أية تغطية اجتماعية، ويشغلن غالبًا في أنشطة خدمية ذات طابع غير مستقر (Conseil Économique, Social et Environnemental, 2018, p. 38).

وفي السياق نفسه، تشير (HCP 2019) إلى أن: -

"أزيد من ٩٤٪ من المقاولات الصغيرة تعاني من صعوبات إدارية وضريبية، مما يؤثر سلبًا على قابلية التشغيل، خاصة في قطاع المقاهي والمطاعم (Haut-Commissariat au Plan, 2019, p. 27).

لكن هذه التقارير، رغم دقتها الإحصائية، تظل وصفية ولا تتناول البعد الرمزي والاجتماعي الذي يعيد إنتاج التفاوتات الجندرية في الممارسات اليومية داخل هذه الفضاءات.

* المقهى كفضاء لم يُحلل جندريًا

يلاحظ غياب واضح لدراسات سوسيولوجية مخصصة للمقهى كفضاء جندري، إذ غالبًا ما يُنظر إليه كامتداد للثقافة الذكورية أو كمجال للتفاعل الاجتماعي غير المؤطر نظريًا. في هذا السياق، تُمثل دراسة سناء العيساوي (2019) محاولة أولية لتحليل الفضاء العمومي من منظور

نسوي، لكنها لم تُركّز على فضاء المقهى كحقل رمزي قائم بذاته، ولم تُفعل الأدوات النظرية اللازمة لتفكيك آليات الوصم أو التموقع المهني للنساء داخله.

* الفجوة المعرفية المستهدفة

انطلاقًا من ما سبق، تبرز فجوة مزدوجة في الأدبيات السوسيولوجية: -

نوع الفجوة	التوضيح
فجوة ميدانية	غياب دراسات نوعية ترصد التمثلات الاجتماعية، والمواقف المتبادلة، واستراتيجيات التفاوض داخل فضاء المقهى.
فجوة نظرية	ضعف توظيف المفاهيم السوسيولوجية الدقيقة مثل: العنف الرمزي (بورديو)، الاعتراف الناقص (فريزر)، الواجهة الاجتماعية (غوفمان)، في قراءة الديناميات الجندرية داخل هذا الفضاء.

بالتالي، تهدف هذه الدراسة إلى ردم هذه الفجوة من خلال الجمع بين المعطيات الميدانية والشهادات الحية من جهة، والتحليل النظري النقدي من جهة أخرى، لفهم كيف يتحول المقهى إلى موقع تفاوض رمزي وهوياتي بالنسبة للنساء، بين السعي إلى التمكين والوقوع في فخ التسييل والوصم.

* الإطار النظري والمفاهيمي

١- النظريات السوسيولوجية في تحليل الحضور النسائي في المقهى: يعتمد هذا البحث على مقارنة سوسيولوجية متعددة الأبعاد، تستثمر أدوات تحليلية ونظرية متنوعة لتفكيك الديناميات الرمزية المرتبطة بتأنيث المقهى في السياق الحضري المغربي. ونقترح في هذا السياق تفعيل أربع مقاربات مركزية: بورديو، غوفمان، نانسي فريزر، ورحمة بورقية، إلى جانب حزمة مفاهيمية تُمكن من قراءة الفضاء العمومي باعتباره حقلًا غير محايد جندريًا.

١- بورديو: الحقل والعنف الرمزي

يرتكز تحليلنا على تصور بورديو للفضاء الاجتماعي كـ"حقل" يتصارع فيه الفاعلون من أجل الشرعية والتموقع، حيث تُمارس الهيمنة من خلال ما يسميه "العنف الرمزي"، وهو شكل من أشكال السيطرة غير المباشرة تُمارَس من خلال التمثيلات، العادات، والتنشئة، بحيث تقبل الضحية (المرأة هنا) موقعها ضمن الحقل باعتباره طبيعيًا (Bourdieu, 1998, p. 99).

في هذا الإطار، لا يظهر العنف الجندري في شكل مادي، بل يُترجم في التوقعات الاجتماعية المسبقة، وفي اختزال الأنوثة في أدوار استعراضية أو خدمية، كما كشفت عنه شهادات ميدانية لعاملات في المقاهي يضطرن إلى تبرير وجودهن المهني باستمرار (لعويد، م. ٢٠٢٢-٢٠٢٣، ص. ٢٨٢).

إن تحليل بورديو يتيح لنا أيضًا فهم كيف يتحول المقهى إلى "حقل" ذي منطلق رمزي خاص، يفرض قواعده على الفاعلين/الفاعلات، ويُعيد إنتاج تراتبية خفية تُسند الامتياز للذكورة وتُضعف من شرعية الحضور النسائي.

٢- غوفمان: الواجهة الاجتماعية والإدارة الرمزية للذات

يرى إرفينغ غوفمان أن الحياة الاجتماعية أشبه بالمرسح، حيث يقدم الأفراد أنفسهم للآخرين عبر ما يسميه "الواجهة الاجتماعية" (Goffman, 1959). في هذا المنظور، يتحول المقهى إلى خشبة عرض، وتصبح المرأة مطالبة بأداء أدوار "مقبولة" اجتماعيًا، تتجنب فيها نظرات الريبة والوصم.

المرأة الزبونة تختار موقعها في المقهى بعناية، تحرص على لباسها ونظراتها، وتتجنب بعض السلوكيات كي لا تُحمَّل

دلالات أخلاقية مسبقة. أما المرأة العاملة، فهي تدير حضورها داخل واجهة مهنية مشروطة، تُنتظر منها اللباقة والابتسامة دون أن يُعترف بكفاءتها أو يُمنح لها هامش تفاوض فعلي.

تُظهر الشهادات الميدانية أن النساء يلجأن إلى ما يسميه غوفمان بـ"التحكم بالانطباع" كآلية للنجاة من الأحكام المسبقة، وهي استراتيجية تتم عن الوعي بالتموقع الرمزي المهش في فضاء يُفترض أن يكون حياديًا (لعويد، م. ٢٠٢٢-٢٠٢٣، ص. ٢٨٢).

٣- نانسي فريزر: الاعتراف الناقص والتوزيع غير العادل

تُقدم نانسي فريزر إطارًا نقديًا لفهم العلاقة بين العدالة الجندرية وفضاءات الاندماج الرمزي، من خلال مفهوم "الاعتراف الناقص" (misrecognition)، أي حين يُمنح الأفراد (النساء هنا) حضورًا ظاهريًا دون توزيع فعلي للحقوق والموارد (Fraser, 1997, pp. 13-25).

وفق هذا التصور، يُقرأ الحضور النسائي في المقهى كتجسيد لـ"الاعتراف غير المكتمل": النساء حاضرات كصورة حدائثة استهلاكية، لكن دون أن تتغير البنية القانونية أو الرمزية التي تُكرّس هشاشتهن المهنية والاجتماعية.

إن التأنيث، بهذا المعنى، يتحول إلى عنصر تجميلي يزيّن الفضاء العمومي دون أن يفكك بنياته الذكورية، وهو ما توضحه شهادات نساء عاملات قلن إنهن "مرثيات ولكن غير مسموعات" (لعويد، م. ٢٠٢٢-٢٠٢٣، ص. ٢٨٢).

٣- رحمة بورقية: الحدائثة الانتقائية والتمكين المشروط

تسهم أعمال رحمة بورقية في تحليل علاقة المرأة المغربية بالمجال العام، حيث تؤكد أن الدولة والمجتمع يسمحان بـ"تأنيث شكلي" للفضاءات دون منح تمكين فعلي، وهي ما

تسميه "الحدائة الانتقائية". تُدمج المرأة في سوق الشغل أو التعليم، ولكن دون تغيير في البنية الثقافية الأبوية التي تستبطنها المؤسسات.

في حالة المقهى، تحضر المرأة لكنها تظل مطالبة بالامتثال لأدوارها التقليدية: الالتزام بالحشمة، تجنّب التفاعل الزائد، البقاء ضمن "الحدود الرمزية المقبولة". وهذه الدينامية تُظهر أن التحرر في السياق المغربي لا يُقاس بالحضور العددي بل بقدرة المرأة على إعادة تعريف موقعها في الفضاء العام.

٢- المفاهيم الأساسية

١- الفضاء العمومي

يُقصد بالفضاء العمومي ذلك المجال الذي يُفترض أن يتمتع فيه المواطنون بحرية التعبير والحضور دون تمييز. غير أن الدراسات الجندرية، خصوصاً عند نانسي فريزر، تبرز أن هذا الفضاء ليس محايداً كما يُصوّر، بل يتمتع بانتقائية رمزية تُقصي النساء وتُضع مشاركتهن لشروط ثقافية (Fraser, 1997, p. 81). وتقول فريزر: "لقد تأسس الفضاء العمومي الحديث على الاستبعاد البنيوي للنساء من المشاركة التامة، من خلال معايير تبدو عامة لكنها مُحمّلة بتمثيلات جندرية" (Fraser, 1997, p. 83).

في السياق المغربي، يتحول المقهى إلى أحد تظاهرات هذا الفضاء العمومي المشروط، حيث يُسمح للمرأة بالحضور، لكن ضمن معايير مضبوطة سلفاً (اللباس، الجلوس، المرافقة). وهذا ما يجعل الحضور النسائي في المقهى مسألة تفاوض رمزي أكثر من كونه حقاً مكفولاً.

٢- العنف الرمزي

يُعد مفهوم العنف الرمزي لدى بيير بورديو مدخلاً مركزياً لفهم أشكال السيطرة الجندرية في الفضاءات اليومية،

حيث يُمارس هذا العنف ليس بالقهر المباشر، بل من خلال جعل النساء يتبنين تمثيلات تُقصيهن دون وعي. يقول بورديو: "العنف الرمزي هو ذلك الشكل من العنف الناعم، الذي يُمارس عبر اللغة، الإيماءات، والمؤسسات، ويُقبل لأنه لا يُدرك كعنف" (Bourdieu, 1998, p. 99).

وتُظهر دراستنا الميدانية كيف تتقبل بعض النساء القيود المفروضة عليهن في المقاهي (نظرات الزبائن، تحفظ أرباب العمل) بوصفها جزءاً من "الواقع الطبيعي"، مما يعكس عمق هذا العنف. ويضيف بورديو: "حين تستبطن الضحية منطق الهيمنة، فإنها تُسهّم لاشعورياً في إعادة إنتاجها" (Bourdieu, 1998, p. 101).

٣- الواجهة الاجتماعية (Front Stage)

يرى إرفينغ غوفمان أن الحياة الاجتماعية تتطلب من الأفراد تقديم ذواتهم بطريقة تناسب انتظارات الجمهور، ويُسمى ذلك بـ"الواجهة الاجتماعية". يقول: "الواجهة هي مجموعة من السمات الثابتة التي يستخدمها الفرد أثناء تقديم ذاته أمام الآخرين" (Goffman, 1959, p. 22).

في المقهى، تُضطر المرأة - سواء زبونة أو عاملة - إلى تنظيم حضورها بشكل يتماشى مع التوقعات القيمية، فالمظهر، طريقة الجلوس، حتى تعابير الوجه، كلها خاضعة لـ"تدبير الانطباع". ويُضيف غوفمان: "التحكم بالانطباع أداة للتفاعل الآمن، لكنها أيضاً استراتيجية لتفادي الخروج عن الأدوار المفروضة" (Goffman, 1959, p. 26). وهذا ما يجعل من المرأة فاعلة داخل بنية جندرية مسرحية تُقيد حرية تصرفها.

٤- الوصم الاجتماعي (Stigma)

في كتابه الكلاسيكي، يعرّف غوفمان الوصم بأنه: "سمة تُستخدم لتقويض هوية الشخص الاجتماعية، وتنسب إليه وضعًا أدنى" (Goffman, 1963, p. 3). ويضيف: "الوصم لا يتعلق فقط بالسلوك، بل بالتصورات المسبقة التي تحيط بالشخص وتُسهم في عزله أخلاقيًا" (Goffman, 1963, p. 5).

وفي سياق المفاهيمي، تعاني النساء من وصم غير مباشر مرتبط بتمثيلات أخلاقية محافظة: الزبونة المنفردة تُرى على أنها خارجة عن المعايير، والعاملة تُساءل عن شرفها المهني. هذه الميكانيزمات تخلق شبكة من التقييد غير المعلن، لكنها فعالة في ردع الحضور النسائي الحر.

٥- الرأسمال الرمزي (Symbolic Capital)

يرى بورديو أن الرأسمال الرمزي هو: "السلطة المعترف بها اجتماعيًا، والتي تمنح للفاعلين مكانة ضمن حقل معين دون اللجوء للقوة المادية أو المالية" (Bourdieu, 1980, p. 262). وفي المقاهي، يُلاحظ أن الرجل يُمنح هذا الرأسمال ضمنيًا بمجرد وجوده، بينما تضطر المرأة إلى إثبات أهليتها سلوكًا ولباسًا وأداءً.

وفي المقابل، تُستخدم الأنوثة كقيمة رمزية قابلة للاستثمار: يقول أحد أرباب العمل في شهادته: "الزبائن كيولفوا يشوفوا بنات خدامين، كيغطي جو للمقهى" (لعويد، م. (٢٠٢٢-٢٠٢٣، ص. ٢٩٠). ما يعكس تحول المرأة إلى رأس مال رمزي يُوظف دون أن تُعطى هي السلطة الرمزية ذاتها.

٦- التسييل الجندي (Gender)

(Commodification)

يرتبط هذا المفهوم بتحليل الخطاب النسوي النقدي لآليات السوق، حيث يُعاد إنتاج الأنوثة كسلعة ناعمة تُستخدم لجذب الانتباه لإحداث مساواة. تقول روزاليند غيل: "النيوليبرالية أعادت تعريف المرأة كمستهلكة وواجهة بصرية، لا كفاعلة اجتماعية كاملة الحقوق" (Gill, 2007, p. 75).

في المقاهي، يتجلى هذا التسييل في اختيار العاملات حسب المظهر، وفي التسويق لأنوثة ناعمة تجذب الزبائن دون تمكين فعلي. ويُلاحظ أن بعض النساء يُقبلن للعمل بناءً على مقاييس شكلية، بينما يُستثنى غيرهن لأسباب لا ترتبط بالكفاءة.

* تمثيلات النساء للحضور في فضاء المقهى - بين الاعتراف

والرقابة الرمزية

١- العرض الميداني

تعكس الشهادات الميدانية تنوعًا دالًا في تمثيلات النساء لحضورهن في المقهى، سواء كعاملات أو زبونات، حيث يظهر هذا الحضور محاطًا بشبكة معقدة من الترقب، الحكم القيمي، والاضطرار إلى التبرير. تقول زبونة (٣٥ سنة، طنجة): -

"عندما أذهب إلى المقهى بمفردتي، أشعر أن كل العيون تلاحقني. أحيانًا أُغَيَّر مكاني أو أُطلب مشروبي بسرعة وأغادر."

وتعبر أخرى (٢٨ سنة، الرباط) عن ازدواجية

الشعور: -

نعم، أرتاد المقاهي، لكن ليس في كل الأحياء. في وسط المدينة هناك نظرات تشعرين بها وكأنك دخيلة." أما العاملات فغالبًا ما يعشن شعورًا بالمراقبة الأخلاقية المستمرة، كما تقول ناديا (٢٢ سنة، القنيطرة): - الناس كيهسبوك كتخدمي فالقهوة، راه ماشي شغل محترم عندهم، وأنا كتخدم بعرق جبيني." وتضيف خديجة:

"ماشى كلشي كيشوف فيك بعين احترام، كاينين اللي كيشوفو أنك وسيلة فقط لجلب الزبائن."

هذا المناخ من الشك الاجتماعي والوصم الصامت، يجعل من المقهى فضاءً يبدو مفتوحًا لكنه في العمق محكوم بحدود تمثالية صارمة.

٢- التحليل السوسولوجي

من منظور بورديو، فإن الحضور النسائي في المقهى لا يُفهم كفعل حر، بل ك"تموقع داخل حقل رمزي" تتحكم فيه قواعد غير معلنة تُنتج الهيمنة (Bourdieu, 1998, pp. 99-101). كحقل اجتماعي، يحتكم إلى منطق ذكوري يُجبر النساء على تكييف سلوكهن مع توقعات اجتماعية مستبطنة.

يتجلى هذا بشكل واضح في ما تسميه نانسي فريزر بـ"الاعتراف الناقص"، أي السماح بالحضور دون منح اعتراف فعلي بالندية والمساواة. (Fraser, 1997, p. 23) فالمرأة تُشاهد لكنها لا تُسمع، تُقبل كصورة لكنها تُرفض كموقع رمزي كامل.

في السياق ذاته، يساعدنا غوفمان على فهم هذا الحضور كـ"أداء اجتماعي"، حيث تُضطر النساء إلى ضبط إيماءاتهن ومظهرهن وسلوكهن في المقهى ضمن ما يسميه

بـ"الواجهة الاجتماعية" (Goffman, 1959, p. 22) فكل تفصيلاً - من طريقة الجلوس إلى نظرة العين -

تخضع لـ"رقابة الجمهور".

أما في السياق المحلي، فتُعزز رحمة بورقية هذه المقاربة عبر مفهوم "الحداثة الانتقائية"، مؤكدة أن إدماج النساء في الفضاء العمومي يتم "دون تفكيك التراتبية الرمزية، مما يجعل هذا الإدماج مشروطاً ومراقباً" (Bourqia, 2020, p. 49).

٣- التأويل والنقد

يتضح من خلال هذه التمثلات أن الحضور النسائي في المقهى لا يُتمثل بالضرورة تحرراً، بل هو نتاج تفاوض يومي مرهق بين الرغبة في الاستقلال والخضوع للضوابط الاجتماعية. فالنساء يتعاملن مع المقهى كحيز رمزي مخوف بالتأويل، يُستخدَم فيه الجسد كموقع تمثيلي لا كفاعل اجتماعي.

وتبيّن النظرية النقدية أن هذا الوضع يُعيد إنتاج ما تصفه روزاليند غيل بـ"التسييل الجندي"، حيث يُستثمر حضور المرأة في المقهى لأغراض تجارية، دون تمكين حقيقي أو مساواة مواطنة. (Gill, 2007, p. 75)

٤- التفسير الرمزي

من منظور التأويل الرمزي، فإن حضور المرأة في المقهى لا يُحتزل في وجودها الفيزيائي، بل يُقرأ بوصفه "علامة محتملة بالمعاني الاجتماعية والتمثلات الثقافية". فالمقهى يتحول إلى مساحة رمزية لاختبار الهوية الأثوية في المجال العام. كل تفصيل - من جلوس المرأة منفردة، إلى تفاعلها مع النادل أو الزبائن، أو حتى توقيت ارتيادها للمكان - يُصبح مؤشراً يُحمّل بدلالات أخلاقية غير محايدة.

٢- التحليل السوسولوجي

وفقًا لتحليل بيير بورديو، فإن العمل في المقهى يتم داخل "حقل" يخضع لمنطق رمزي ذكوري، حيث يُعاد إنتاج الهيمنة ليس فقط عبر التراتب المهني، بل من خلال استعمال الجسد الأثني كـ"رأسمال رمزي" يخدم مصلحة المقابلة لا تمكين العاملة. (Bourdieu, 1980, p. 262)

العنف الرمزي هنا يتخذ شكلاً مقننًا: يُطلب من النساء الابتسام، الهدوء، الأناقة، لكن دون مقابل مهني عادل، مما يعكس شرعية رمزية مسحوبة ومهنية مهمشة.

من زاوية غوفمان، تُرغم العاملات على أداء دور مزدوج: نادلات و"وجوه ترحيبية"، مما يضعهن في قلب الواجهة الاجتماعية التي تُخفي التوتر بين الصورة والتجربة الفعلية. (Goffman, 1959, p. 26) المرأة لا تختار هذا التقديم، بل تُفرض عليها واجهة تُخفي هشاشتها الاقتصادية خلف ستار من "الاحترافية الظاهرة".

أما عند نانسي فريزر، فهذا الحضور المهني يندرج ضمن "الاعتراف المشروط"، حيث يُعترف بعمل النساء كضرورة تجارية، لكن دون توزيع عادل للفرص أو الحماية. (Fraser, 1997, p. 23) وهذا ما يجعل من هذا

الاعتراف مجرد واجهة اقتصادية تُعيد إنتاج التهميش لا تجاوزه. وتوضح رحمة بورقية هذا النمط من "الإدماج المشروط" بقولها: -

" لا يعني اندماج النساء في العمل أن البنات الأبوية تفككت، بل غالبًا ما يعيد السوق إنتاج التمييز داخل وظائف تبدو متساوية شكلاً. (Bourqia, 2020, p. 72).

يُجسد هذا الحضور نوعًا من التوتر الرمزي بين الاستقلال الاجتماعي والامتثال الثقافي، إذ تضطر المرأة إلى التحرك داخل "شبكة معنوية" من الرقابة، يعاد فيها تأويل سلوكها وفق معايير مسبقة. لذلك، فإن ارتياد المقهى يتحول من مجرد فعل اعتيادي إلى ممارسة رمزية تُعيد إنتاج الاختبار الاجتماعي للنساء داخل فضاء يُفترض أن يكون ديمقراطيًا ومتاحًا للجميع.

* الهشاشة المهنية للعاملات في المقاهي - بين التمكين الاقتصادي والاستغلال الرمزي

١- العرض الميداني

تكشف الشهادات الميدانية عن واقع مهني هش تعيشه النساء العاملات في المقاهي، يتمثل في غياب العقود، وانعدام الحماية الاجتماعية، وتفاوت الأجور، إلى جانب ضغط التمثيلات الاجتماعية حول "شرعية" هذا العمل.

تقول شابة تشتغل في مقهى شعبي: خدامة بلا أوراق، لا CNSS لا تأمين، والشيف كيدير اللي بغى... ملي كتقولي له شي حاجة، كيغيرك قدام الناس" (عاملة، ٢١ سنة، القنيطرة).

وتؤكد عاملة أخرى في مقهى راقٍ: بصراحة، كاين الفرق بين الخدمة فمقهى شعبي ومقهى أنيق، اللباس، الزبائن، حتى الكلمة... لكن فالحقيقة كلشي بلا حقوق، وحتى هنا كاين تحرش ولكن مغلف بالابتسام" (عاملة، ٢٥ سنة، الرباط).

وتوضح خديجة (٣٤ سنة، مشرفة على العاملات): -

"كاينين اللي كيبيغو البنت تكون زوينة باش تجيب الزبائن، وكايشوفوها وسيلة ماشي إنسانة عندها كرامة ولا حقوق."

٣- التأويل والنقد

تحوّلت المقهى من فضاء تفاعلي إلى موقع لعرض الجسد الأنثوي كقيمة تجارية داخل منطق السوق. ويتم ذلك غالبًا دون اعتراف قانوني أو مؤسسي. فالمشغلون - وفق ما ورد في عدة شهادات - يوظفون النساء لجذب الزبائن، لكنهم لا يقدمون لهن التكوين، ولا عقود شغل، ولا حماية من التحرش.

وهذا ما يجعل علاقة العاملة بفضاء المقهى علاقة نفعية أحادية: المرأة تُعطي حضورًا وقيمة بصرية/سلوكية، لكنها لا تتلقى سوى أجور زهيدة ووضعية هشة. والمفارقة أن هذا الوضع يُقدّم في بعض الخطابات كـ"تمكين"، بينما هو في الواقع تسييل للجنود وتطبيع للهشاشة.

٤- التفسير الرمزي

على المستوى الرمزي، تُحوّل العاملة في المقهى إلى "علامة للترحيب والراحة" أكثر من كونها فاعلة اقتصادية مستقلة. يُعاد ترميز الأنوثة داخل الفضاء العمومي كمصدر للهدوء، الألفة، والجادبية، لا كفاعل مهني له وضع قانوني. في هذا السياق، يتم إخفاء هشاشة النساء خلف واجهة أنيقة، مما يجعل الفضاء مسرحًا لأداء مزدوج: الابتسام أمام الزبون، والاحترق النفسي خلف الكواليس. وهذا ما يجعل التمكين هنا رمزيًا في مظهره، ومفككًا في عمقه، لأن المرأة تشتغل وهي محاطة بتمثيلات الشك والرقابة، لا الاعتراف والكرامة.

* التمثيلات الاجتماعية للمرأة الزبونة - بين الحق في

الفضاء العام وشبهة الانزياح القيمي

١- العرض الميداني

تُظهر الشهادات الميدانية أن حضور المرأة في المقهى كزبونة لا يزال محاطًا بالريبة الاجتماعية، ويُحمّل بمعانٍ أخلاقية متداولة، خصوصًا في الأحياء الشعبية. تقول إحدى الزبونات: -

عندما أجلس بمفردي في المقهى، أشعر كأني متهمّة. هناك من يظن أنك تبحثين عن شيء غير القهوة" (زبونة، ٣٢ سنة، سلا).

وفي شهادة أخرى: -

في الحي الشعبي، كنت أتفادي المقاهي، لكن منذ انتقالي إلى حي عصري، صرت أجلس دون أن أثير الانتباه" (زبونة، ٢٩ سنة، تمارة).

وتعبّر أخرى عن حالة من المراوحة بين الرغبة في الاستقلال والخوف من التصنيف: -

كنمشي للقهوة نكتب، نرتاح، ولكن دائمًا كنشوف العيون كتحلل لباسي ونظراتي، مجال كنعيش على المحك" (طالبة جامعية، الرباط).

٢- التحليل السوسولوجي

يُبيّن بورديو أن الفضاءات تُبنى اجتماعيًا عبر علاقات السلطة، وأن المرأة في المقهى تحتل موقعًا "غير شرعي" في التمثيلات الرمزية للفضاء العمومي (Bourdieu, 1998, p. 107). فالجلوس في المقهى لا يُفهم كممارسة

عادية، بل يُؤوّل كخرق لنمط الحشمة والخصوصية الأنثوية.

وفقًا لغوفمان، يُجبر حضور المرأة الزبونة على الخضوع لـ"عرض منضبط"، أي تقديم واجهة مضبوطة بعناية

لدرء الشبهات (Goffman, 1959, p. 22). فالحضور لا يكون تآمًا، بل مشروطًا: اختيار مكان الجلوس، تجنب التحديق، الحد من التفاعل، وضبط الجسد.

أما فريزر، فتقرأ ذلك بوصفه نموذجًا للاعتراف الناقص: تُقبل المرأة في الفضاء العام، ولكن حضورها يظل مراقبًا ومقيّدًا بالمعايير الأخلاقية المتداولة، مما يحّد من مواظمتها الرمزية. (Fraser, 1997, p. 83)

وتوضح بورقية أن المرأة في السياق المغربي تتحرك داخل فضاء عام ذكوري يُعيد إنتاج الشك في نواياها حين تحتل مواقع غير تقليدية، مما يجعل من كل ارتياد للمقهى اختبارًا صامتًا للأهلية الاجتماعية (Bourqia, 2020, p. 65).

٣- التأويل والنقد

يكشف الحضور النسائي كربونة في المقهى عن مساحة مشحونة رمزيًا، حيث يُربط جسد المرأة لا بفعل استهلاكي محايد، بل بـ"دلالة اجتماعية" قد تكون موجّهة أخلاقيًا.

فحين تجلس امرأة لوحدها، لا تُقرأ كربونة فقط، بل كمؤشر على انزياح أو تحدٍ للأعراف، ويزداد ذلك كلما اتجهنا نحو الأحياء الأكثر محافظة.

هذا ما يبيّن أن حضور المرأة في المقهى لا يندرج ضمن الحق في الولوج المتساوي للفضاء العمومي، بل يُعاد تنظيمه عبر التمثلات. فالمرأة الزبونة تنتقل دائمًا بين الحق والتأويل، بين الاستقلال والشك.

٤- التفسير الرمزي

من منظور رمزي، فإن جلوس المرأة في المقهى ليس حياديًا، بل يُحمّل دلالات ثقافية تمس الهوية، الأخلاق،

والنية. فالجسد الأنثوي في الفضاء العمومي يُقرأ كموقع للمراقبة والاشتباه، لا كحق مكتسب في التمدن أو الاستراحة.

وهذا ما يجعل من المقهى، رغم تحوله التدريجي إلى فضاء مشترك، مكانًا ينتج المعنى لا يوزعه فقط: معنى "المرأة المحترمة" مقابل "المرأة المتحررة"، أو معنى "الحضور المشروع" مقابل "الوجود المريب".

* مواقف أرباب المقاهي - من التوظيف التّفعي إلى المبادرات البديلة

١- العرض الميداني

تُظهر الشهادات الميدانية أن مواقف أرباب المقاهي تجاه تأنيث فضاء العمل تتراوح بين النفعي والتقليدي من جهة، والبديل والانفتاحي من جهة أخرى.

يصرّح أحد أرباب المقاهي: -

أنا كنفصل البنات فالصالة، حيث كيغطيوا جو، والزبائن كيترتحو ليهم، خصوصًا ملي تكون أنيقة وكضحك" (رب عمل، ٤٢ سنة، القنيطرة).

ويقول آخر: -

البنات كستخدم مزيان، ولكن كاين مشكل التحرش، وأنا كنخاف على سمعتي وسمعتها، وكنفضل ما نخدمش بنات فالأحياء الشعبية" (رب عمل، ٣٩ سنة، سلا).

في المقابل، هناك مبادرات محدودة لأرباب عمل نساء أو رجال يرفضون منطق التسليع، كما تقول سعاد، صاحبة مقهى بالرباط:

أنا كنشغل البنات، ولكن ماشي باش يزوقوا، بل حيث كفاءتم عالية، وكنرفض الزبون اللي كيترش أو كيتعدى على العاملة."

٢- التحليل السوسولوجي

من زاوية بورديو، فإن رب العمل - بوصفه فاعلاً داخل "حقل المقاهي" - يُعيد إنتاج الهيمنة الرمزية من خلال استخدام الجسد الأثوي كرمال رمزي مسوّق (Bourdieu, 1980, p. 262). المرأة تُوظّف لا

لذاتها، بل لقدرتها على إثارة الراحة أو الجاذبية، وهي بذلك تتحول إلى عنصر تزييني داخل الحقل الاقتصادي الرمزي.

أما من منظور غوفمان، فإن رب العمل يتدخل في "إخراج الواجهة الاجتماعية"، بحيث تصبح العملات جزءاً من "عرض استهلاكي" يُقنن الأداء النسائي في صيغ محددة (Goffman, 1959, p. 28).

تُفسّر فريزر هذا الوضع كحالة اعتراف اقتصادي محدود لا يتوافق مع العدالة التوزيعية، إذ تُمنح المرأة فرصة الولوج إلى الشغل، لكن دون مساواة في الحقوق أو الحماية، مما يجعلها عرضة لـ"تسييل مزدوج": اقتصادي واجتماعي (Fraser, 1997, p. 25).

وتدعم بورقية هذه المقاربة حين تؤكد أن "المقاولة في المجتمع المغربي لا تزال مشبعة بتمثلات تقليدية، تجعل من تمكين النساء رهيناً بقدراتهن على ملاءمة الصور المسبقة لا بكفاءتهن الفعلية." (Bourqia, 2020, p. 66)

٣- التأويل والنقد

تُظهر هذه المواقف أن المقاهي تتحرك بين منطقتين: منطق السوق الذي يرى في الأنوثة وسيلة جاذبية وريح، ومنطق أخلاقي وقيمي أكثر تقدماً يرفض هذا التشبيء. غير أن الغالب هو الخطاب النفعي، الذي يختزل العاملة في شكلها، ويُفرغها من بعدها المهني أو المواطن.

وهذا الوضع يُعيد إنتاج الوصم النبوي، إذ يُفترض أن العاملة الصالحة هي التي "ترضى بالصورة المرسومة لها"، مما يجد من فرص النساء في التفاوض على شروط العمل، أو الخروج من موقع "الواجهة الناعمة".

٤- التفسير الرمزي

رمزيًا، يُفهم توظيف النساء في المقهى بوصفه إعادة إنتاج لتمثلات جندرية تقليدية داخل اقتصاد حديث. فالمرأة هنا لا تُوظّف كقوة عاملة فقط، بل كـ"إشارة ثقافية" تُوظّف ضمن منطق التزيين وتهديب الفضاء.

وعليه، فإن موقف رب العمل لا يتعلق فقط بـ"اختيار تديري"، بل بـ"تأويل ثقافي" للجندر والعمل. فحيثما تحضر المرأة كجزء من العرض، يتم تجريدتها من الفاعلية وتحويلها إلى علامة، وهو ما يُقوّض مسار التمكين المهني الرمزي.

* التفاوتات المجالية في تمثلات حضور النساء في المقاهي -

بين المركز والهامش

١- العرض الميداني

تُظهر المعطيات الميدانية أن تمثلات المجتمع لحضور النساء في المقاهي تتباين بشدة حسب المجال الجغرافي والاجتماعي، حيث تُظهر الشهادات أن المرأة في الأحياء الراقية أو المدن الكبرى تحظى بهامش أكبر من الحضور المشروع، بينما يُقَابَل هذا الحضور في الأحياء الشعبية أو المدن الصغيرة بمقاومة قيمة ووصم صامت.

تقول زبونة من الرباط:

في أكادال أو حي الرياض، الجلوس في المقهى عادي جدًا، لا أحد يلتفت إليك. لكن فباب شالة أو الحي العتيق، النظرة كتولي كأنك عملت شي جريمة."

وفي شهادة أخرى من القنيطرة:

أما نانسي فريزر، فتعتبر أن العدالة ليست فقط في التوزيع الاقتصادي، بل في الاعتراف المجالي أيضًا. فإذا كان الحضور النسائي يُقبل في مجال معين ويُرفض في آخر، فهذا يدل على "غياب التوزيع العادل للكرامة الرمزية (Fraser, 1997, p. 84). فالمرأة في الهامش لا تُرفُص كمستهلكة فحسب، بل ك"فاعل مدني" يفتقر للشرعية.

وتُفكك رحمة بورقية هذا الوضع بوضوح حين تذكر أن "التحولات المجالية لا تواكبها تحولات تمثالية بالضرورة، فحتى في المدن، تبقى البنيات التقليدية أقوى في الهامش، مما يُعيد إنتاج الفوارق الرمزية بين النساء (Bourqia, 2020, p. 54).

٣- التأويل والنقد

تُظهر هذه التفاوتات أن تأنيث المقهى لا يتقدم بشكل متجانس، بل وفق طبقات مجالية تُعيد إنتاج الفوارق الطبقيّة والثقافية.

فالمرأة الحاضرة في حي راقٍ تُعامل كرمز للحداثة، بينما تُحمّل المرأة في حي شعبي دلالات "الانفلات" أو "الانحراف". وهكذا، يتم إعادة إنتاج أخلاقيات مزدوجة في قراءة الجسد الأثوي داخل نفس المؤسسة (المقهى).

هذا الوضع يكشف عن إشكالية الحداثة الانتقائية المجالية، حيث تتجاوز مظاهر التقدم (المركز) مع بُنى التقييد (الهامش). وبالتالي، فإن المسألة ليست مجرد "حضور"، بل شرعية الحضور الرمزي، وتوزيع الحماية التمثالية. فالمرأة في الهامش لا تحميها لا المواطنة، ولا الاستهلاك، بل تُحمّل وزر تمثالات لم تنتجها.

فوسط المدينة البنات خدامين مرتاحات نسبيًا، ولكن في الساكنية أو أولاد اوجيه، البنات كيتخبوا باش ما يشوفهمش حد... الناس كتربط القهوة بشي حاجة خائية." أما في مدينة صغيرة مثل سيدي سليمان، تقول طالبة: -

"ما نقدروش نجلسو فالقهوة بلا ما نحسو بالحرج، مجال إلى مكانش داك الفضاء ديالنا، رغم أننا زونات مجال بمجال."

٢- التحليل السوسولوجي المعمق

يُبرز بورديو أن الفضاءات الاجتماعية ليست محايدة، بل هي مُحتملة بالترابعية الرمزية التي تنعكس على الحضور الجندي. الحقل هنا - حقل المقهى - يُعاد تعريفه حسب الموقع المجالي: فالمقهى في المركز يُقدّم كفضاء حيادي نسبيًا، بينما في الهامش يخضع لرقابة قيمة مضاعفة (Bourdieu, 1998, pp. 106-108).

ويُترجم هذا الفارق المجالي إلى أشكال متفاوتة من "العنف الرمزي" الذي يجعل المرأة تحضر بقلق، وتُعيد باستمرار تقييم موقعها وفق "خريطة غير مرئية للقيم المجالية."

من منظور غوفمان، يفرض هذا الواقع على النساء أن يضبطن واجهتهن الاجتماعية بشكل مختلف: في المركز، الواجهة قد تكون ليبرالية، وفي الهامش تُضبط وفقًا لقواعد الحياء والامتثال. يقول غوفمان: -

"التمثالات المتوقعة تُحدّد الأداء الاجتماعي، وليس العكس" (Goffman, 1959, p. 22).

وهذا الأداء يخلق ما يُشبه الازدواج الرمزي في تمثالات النساء: هنّ نساء مختلفات في كل مجال، فقط لأن السياق يتغيّر.

٤- التفسير الرمزي

رمزيًا، تتحول المدينة إلى خريطة غير متكافئة للكرامة. فالمرأة لا تعني نفس الشيء حين تنتقل من حي عصري إلى آخر شعبي، رغم أنها "نفس الشخص، في نفس المقهى، تطلب نفس القهوة".

لكن الفرق أن الرموز المتداولة في كل مجال تُعيد صياغة معناها الاجتماعي، وكأننا أمام أجساد متموقعة رمزيًا وليست حرة ذاتيًا.

يُصبح الفضاء العمومي شبكة من المرور المشروط والتوقع الخاضع للتفاوض، لا بوصفه حقًا مدنيًا مكفولًا. وهذا ما يُعيد تعريف تأنيث المقهى لا كاختراق للمجال الذكوري، بل ككشف للفوارق الرمزية التي تُعيد تشكيل الأنوثة حسب المجال.

* مواقف المجتمع المحلي من تأنيث المقهى - بين المقاومة الصامتة والقبول المشروط

١- العرض الميداني

تعكس الشهادات الميدانية تعددية في مواقف الفاعلين المحليين تجاه حضور النساء في المقاهي. هذه المواقف تتراوح بين الانزعاج الضمني، القبول الصامت، والمراقبة الأخلاقية، حسب العمر، الجنس، الخلفية الثقافية والمجال المحلي.

يقول رب أسرة من حي شعبي:

"البنات ملي كتجلس فالقهوة بوحدها كتخلينا نختار... واش فعلاً خاصها تكون تما؟ واش مكانها هو هداك؟".

وفي شهادة أخرى من طالبة جامعية:

"ملي كنبكون فالقهوة، كنبان للناس بحال إلى كندير شي حاجة خاوية، ماشي حيث كنديرها، ولكن فقط لأنني امرأة فمكان كيتعتبر ديال الرجال".

وفي المقابل، يقول شاب من الرباط:

"المقهى خاصو يبقى مفتوح للجميع. ولكن بزاف ديال الناس باقين كيشوفو أن البنات لي جالسة بوحدها عندها شي غرض آخر".

٢- التحليل السوسولوجي

تكشف هذه المواقف أن حضور النساء في المقهى لا يُقرأ كممارسة اجتماعية عادية، بل كمؤشر يُقاس من خلال معايير أخلاقية وجندرية غير مُعلنة.

من منظور بورديو، فهذه المواقف تمثل "إعادة إنتاج للتعنف الرمزي" الذي يُمارَس من خلال المراقبة المجتمعية غير المصرّح بها، حيث تُخضع المرأة لامتحان دائم لشرعية وجودها داخل "الحقل الذكوري" (Bourdieu, 1998, p. 108).

أما غوفمان، فيُبرز كيف أن المرأة في هذا السياق تُجبر على تقديم واجهة مُحتشمة ومنضبطة، كي لا تثير الشكوك. فالمجتمع المحلي - كجمهور دائم - يراقب الأداء النسائي في المقهى، ويُفسّر أبسط السلوكيات (جلوس، ضحك، تفاعل) كمؤشرات أخلاقية (Goffman, 1959, p. 23).

وتوضح فريزر أن الاعتراف المجتمعي المشروط يُضعف تمكين النساء، ويُحوّل الحضور العمومي إلى موقع تفاوض هشّ، أكثر منه حق مضمون (Fraser, 1997, p. 25).

لكنها تُرفض عندما تخرج عن الأداء النمطي.

أما بورقية، فتربط هذه المواقف بـ"ازدواجية التحديث الاجتماعي"، حيث يتعايش مظهر الانفتاح مع بني أبوية عميقة الجذور. وتقول: -

"ينتج المجتمع المغربي تمثلات متناقضة حول المرأة في المجال العام، فهي في عين القانون حرة، لكنها في عين المجتمع خاضعة لشبكة من المراقبة الرمزية (Bourqia, 2020, p. 53).

٣- التأويل والنقد

تكشف مواقف المجتمع المحلي أن تحولات الحضور النسائي في المقهى لا تعكس بالضرورة تحولات في التمثلات. فرغم تأنيث بعض فضاءات العمل والاستهلاك، لا يزال الحضور الأنثوي يُقرأ ضمن سياقات الشك القيمي والتوقع الأخلاقي. وهذا يُعيد إنتاج تمثلات محافظة تُعَلِّف ذاتها بخطاب "الحرص" و"الغيرة" و"السمعة".

كما أن قبول حضور المرأة في بعض الفضاءات يرتبط غالبًا بمظهرها وسلوكها، وليس بوضعها كمواطنة كاملة الأهلية. أي أن المجتمع يمنح "شرعية نسبية" للنساء الملتزمات بالضوابط التقليدية، لكنه يرفض الاستقلال الرمزي الجريء.

٤- التفسير الرمزي

رمزيًا، تعكس هذه المواقف ما يمكن تسميته بـ"الرقابة الثقافية المؤنسة"***، حيث لا يُقال للمرأة "لا"، لكن يُقال لها: "كوني هادئة، محتشمة، غير لافتة". وهذا ما يجعل الحضور النسائي في المقهى محكومًا بالتمثلات أكثر من الوقائع، ومشروطًا بالأداء أكثر من الحقوق. فالمرأة - في نظر المجتمع المحلي - تظل كائنة يجب مراقبتها وتفسيرها، لا كفاعل يُؤخذ وجوده كأمر بديهي.

* حدود الاعتراف الرسمي وتمثلات التحيز الرمزي لحضور

النساء في المقاهي

١- العرض الميداني

في إطار الدراسة الميدانية، لم تُسجَّل أي إشارة من طرف العاملات أو الزبونات إلى وجود دعم مؤسسي مباشر أو اعتراف قانوني واضح بخصوص حماية النساء العاملات أو حق النساء في ولوج المقاهي بدون قيود رمزية.

تقول عاملة بمقهى في تمارة:

"ما كاين لا قانون كيحمينا، ولا حتى شي مسؤول كيصول فينا، وحتى مني كنشكي كيبقي الأمر بيني وبين مول القهوة". وتؤكد زبونة من مدينة سلا:

"الإعلام كيتكلم على حقوق المرأة، ولكن عمري شفت شي نقاش على حقنا ندخلو للقهاوي بلا ما نكونو متهمين".

وتظهر في الشهادات أيضًا حالة من الغموض في

الخطاب العام، إذ لا يتم التعبير صراحة عن رفض الحضور النسائي في المقاهي، لكن في المقابل لا يُعزَّز هذا الحضور بأي استراتيجية تواصلية أو سياسية.

٢- التحليل السوسولوجي

من منظور نانسي فريزر، يُعد هذا الشكل من الغياب المؤسسي نموذجًا لما تسميه بـ"الاعتراف الناقص"، حيث تُسكت الدولة عن التمييز دون أن تواجهه، وتُبقى الوضع كما هو باسم الحياد. (Fraser, 1997, p. 27) المرأة هنا ليست ضحية قمع قانوني مباشر، لكنها غير محمية ضمنيًا من الوصم الاجتماعي أو الهشاشة المهنية، ما يجعل اعتراف الدولة ناقصًا ومشروطًا بالصمت المؤسسي.

وفق بورديو، فإن هذا الصمت يُنتج "هيمنة ناعمة"

تتمثل في انسحاب الدولة من ميدان الصراع الرمزي، تاركة

المجال للقوى المجتمعية لإعادة إنتاج الأعراف والتصورات الذكورية دون مقاومة مؤسسية (Bourdieu, 1998, p. 115).

ويكشف غوفمان كيف أن التمثلات الإعلامية تلعب دورًا في ترسيخ الوصم، عندما لا تظهر النساء في المقاهي إلا كإكسسوارات في الديكور أو رموز للاستهلاك، دون أي إبراز لأدوارهن كعاملات أو كمواطنات مستهلكات طبيعيات. (Goffman, 1963, pp. 3-5)

أما رحمة بورقية، فتري أن الدولة المغربية تمارس نوعًا من "الاندماج الانتقائي"، حيث تُدرج قضايا النساء في السياسات العمومية دون تفكيك حقيقي للبنى الثقافية التي تُعيد إنتاج الإقصاء الرمزي (Bourqia, 2020, p. 71).

٣- التأويل والنقد

يتبين أن تأنيث المقهى، رغم حضوره المتزايد واقعيًا، لا يُواكب بخطاب سياسي أو حقوقي واضح. فالدولة تتعامل مع المسألة وكأنها جزء من "التحولات الصامتة" التي لا تستدعي الاعتراف أو التقنين. وهذا ما يجعل الحضور النسائي عرضة لـ"التحييد الرمزي" بدل الحماية الفعلية.

في المقابل، لا يلعب الإعلام العمومي أو الخاص أي دور يُذكر في كسر التمثلات السائدة. على العكس، يساهم في اختزال المرأة داخل الفضاء الاستهلاكي إلى صورة نمطية تُعاد فيها صيغ الجاذبية أو الإغراء أو الجدل، في حين يغيب التمثيل الواقعي للمرأة كمواطنة تستحق الفضاء العمومي دون تفسير أو تأويل.

٤- التفسير الرمزي

رمزيًا، يُفهم هذا الغياب في الاعتراف الرسمي كـ"تحييد مزدوج": -

أولًا، تحييد الدولة عن الفعل الرمزي داخل المجال العام، وثانيًا، تحييد النساء عن المعنى الكامل للمواطنة المدنية. فالمرأة لا تُمنع من دخول المقهى، ولكنها لا تحظى بدعم معنوي أو مؤسسي يكرس حقها في الحضور بوصفه طبيعيًا وغير مشروط.

هذا ما يجعل حضورها دائمًا في منطقة رمادية: لا هي مقموعة صراحة، ولا هي محترمة بالكامل. وهذا هو جوهر التحيز الرمزي في غياب الاعتراف الرسمي.

* حدود الاعتراف الرسمي وتمثلات التحيز الرمزي لحضور

النساء في المقاهي

١- العرض الميداني

تكشف الشهادات الميدانية أن حضور النساء في المقاهي، رغم تصاعده، لا يجد تأطيرًا رسميًا أو مؤسسيًا واضحًا، سواء من حيث الحماية القانونية للعاملات، أو في الدفاع عن حق الزبونات في استعمال الفضاء العمومي دون وصم.

تقول عاملة بمقهى في تمارة: -

ما كاين لا قانون كيحمينا، لا CNSS، لا حقوق. حتى مني كنشكي، كيبيقى الأمر بيني وبين مول القهوة، ماشي الدولة.

وتضيف زبونة من مدينة سلا: -

"ما عمر شي سياسي أو إعلامي دافع علينا، وكأننا ماشي مواطنات، مجرد ديكور أو حالات فردية."

وتعكس هذه الشهادات غياب خطاب رسمي معلن حول الحق في تأنيث الفضاء العمومي، حيث تُترك المسألة للتأويل الاجتماعي أو للتمثيلات التقليدية السائدة.

٢- التحليل السوسيولوجي الدقيق

يكشف هذا الغياب عن شكل بنوي من التواطؤ الرمزي كما صاغه بيير بورديو: الدولة لا تمنع المرأة من الحضور، لكنها لا تتدخل لتقنين هذا الحضور أو حمايته، تاركة بذلك المجال لآليات الهيمنة التقليدية لإعادة إنتاج التراتبية (Bourdieu, 1998, pp. 109-112). إننا أمام ما يمكن تسميته بـ**"التفويض السلي للسلطة الرمزية**": حيث تُنسحب المؤسسة الرسمية من إنتاج المعنى، وتترك الثقافة الشعبية لتعيد إنتاج الوصم.

أما نانسي فريزر، فتقدم مفهوم "الاعتراف المشروط" باعتباره شكلاً من أشكال التحيز البنيوي، إذ لا يكفي عدم منع النساء من دخول المقهى، بل يجب العمل على إزالة الشروط الثقافية والاجتماعية التي تُقيد هذا الحضور وتجعله عرضة للتأويل (Fraser, 1997, p. 28). غياب هذا الاعتراف الكامل يكشف عن اختلال في التوزيع الرمزي للكرامة والمواطنة.

وفي منظور غوفمان، يتم ترسيخ التحيز من خلال الأداء الإعلامي، حيث تُظهر وسائل الإعلام المرأة في المقاهي كمجرد "صورة نمطية" دون الاعتراف بها كفاعل. ما يحصل هو "وصم بصري" ناعم، يجعل من الجسد الأنثوي في الفضاء العمومي موضوعاً للعرض لا للمواطنة (Goffman, 1963, pp. 4-6).

وتعزز رحمة بورقية هذا التحليل حين تتحدث عن "الازدواجية المؤسسية" التي تُميز السياسات العمومية في المغرب: -

تُمنح الدولة حقوقاً للنساء قانونياً، لكنها لا تُناضل من أجل تمثيلات تضمن تفعيل هذه الحقوق في الواقع" (Bourqia, 2020, p. 71). إننا إذن أمام شرعية قانونية بدون ترجمة رمزية.

٣- التأويل النقدي

هذا الوضع يُظهر أن الحضور النسائي في المقاهي يتم في فراغ مؤسسي ومعنوي: لا نصوص تحمي، ولا خطابات تدعم، ولا سياسات تواكب. ويتم بذلك إفراغ المواطنة من محتواها الرمزي، لتبقى المرأة حاضرة كجسد، لا كفاعل اجتماعي كامل.

التحليل النقدي يكشف أن التأطير الرسمي الناقص ليس مجرد تقصير، بل هو إعادة إنتاج للوصم الهيكلية، الذي يسمح للمنظومة الثقافية بإعادة إنتاج التمييز تحت غطاء "الحياد". وهذا الحياد، في عمقه، منحاز لصالح استمرار التراتب الرمزي بين الرجل والمرأة في الفضاء العمومي.

الإعلام بدوره، لا يفتح نقاشاً حول رمزية الحضور النسائي في المقاهي، بل يُعيد تأطيره ضمن تمثيلات استهلاكية أو إثارية. وهكذا تتحول المرأة إلى موضوع عرض تمثيلي لا موضوع مساءلة حقوقية.

٤- التفسير الرمزي

رمزيًا، يُقرأ هذا الغياب الرسمي بوصفه تحييداً للمرأة عن الحق الكامل في التمدين. فهي قد تدخل المقهى، لكنها لا تدخل المعنى العاماني لهذا الفضاء. تظل محمولة على

تأويلات خارج إرادتها، تُستخدم كأداة جمالية، لا كفاعل له شرعية مدنية.

وتتحول المواطنة هنا إلى مواطنة ناقصة رمزيًا: لا تُقاس بالحضور الجسدي، بل بمدى الحماية التي يوفرها الخطاب العام والمؤسسة الرمزية.

وبالتالي، فإن تأنيث المقهى يظل ناقصًا، لأن الرمز لا يكتمل إلا بالاعتراف، والاعتراف لا يتحقق إلا بوجود مؤسسة تُدافع عن شرعية هذا الحضور وتُحرره من التمثلات التقليدية.

* الخاتمة العامة

لقد حاولت هذه الدراسة الميدانية-السوسيولوجية تفكيك ظاهرة تأنيث فضاء المقهى في المغرب، لا بوصفها مجرد تحول عددي في الحضور، بل كتحويل رمزي مركّب يُعيد تشكيل علاقة النساء بالفضاء العمومي في سياق متشابك بين التحرر والوصم، بين التمكين والتسليع، وبين الاعتراف والتهميش الصامت.

أظهرت الشهادات والمعطيات أن حضور النساء في المقاهي يتجاوز معناه الفيزيقي، ليصبح موضوعًا محمّلًا بالتوترات الثقافية والتمثلات الجندرية والاجتماعية، مما يُحوّل هذا الفضاء اليومي إلى حقل رمزي للصراع حول المعاني والمشروعية.

انطلاقًا من التحليل النظري المفعل، أبرزت الدراسة أن تأنيث المقهى في المغرب لا يسير وفق خط تصاعدي واحد، بل يتم عبر آليات متناقضة: -

١- تمكين اقتصادي هش،

٢- انفتاح مجالي غير متوازن،

٣- اعتراف مؤسسي ناقص،

٤- واختزال إعلامي رمزي.

كما بيّن التمحيص في المواقف والتمثلات أن المرأة في المقهى لا تزال تُوظفها "مواطنة مراقبة"، لا "مواطنة مكتملة". إنها حاضرة ولكن بشروط، مرئية ولكن بصيغة انتقائية، مستهلكة لكن لا تملك كامل رمزية الفضاء.

وهكذا، فإن تأنيث المقهى لا يمثل انتصارًا نهائيًا للعدالة الجندرية، بل يكشف حدود الحدائث التمثالية في المجتمع المغربي، حيث تُساكن الحرية الشكلية بنيات أبوية مستبطنة، ويُترك الحقل الرمزي للمجتمع المحلي والإعلام لإعادة إنتاج التمييز، في غياب تدخل مؤسسي حاسم.

* التوصيات

١- التأطير القانوني والإداري للعمل النسائي في المقاهي، من خلال ضمان عقود قانونية، ومراقبة ظروف الشغل، وإدماج المقاهي في سياسات الاقتصاد الاجتماعي المهيكّل.

٢- إدماج موضوع الجندر والفضاء العمومي في السياسات الترابية، لضمان عدالة مجالية في الولوج النسائي الآمن والمتساوي إلى الفضاءات الحضرية.

٣- تعزيز الحملات التوعوية المجتمعية حول شرعية الحضور النسائي في الفضاءات العامة، بما في ذلك المقاهي، وتفكيك الصور النمطية المرتبطة بهذا الحضور.

٤- دعوة الإعلام العمومي والخاص إلى إعادة تمثيل المرأة في المقاهي كفاعلة اجتماعية لا كعنصر جمالي أو استهلاكي، والتوقف عن تغذية التحيزات البصرية والرمزية.

٥- تشجيع المقاهي النسائية أو المختلطة ذات الطابع الحقوقي أو التعاوني، كبداية لتعيد بناء الفضاء العمومي من زاوية المساواة والاحترام.

٦- ربط تأنيث الفضاء العمومي بسؤال المواطنة، من خلال إدماج البعد الجندي في برامج التربية المدنية، وفي المناهج الجامعية والبحثية.

* مواقف الدراسة

من خلال تحليل الشهادات والمعطيات الميدانية، ومساءلتها سوسيولوجيًا ضمن إطار نظري متعدد الأبعاد، تنطلق هذه الدراسة من موقف علمي نقدي يقوم على ما يلي: -

١- رفض اختزال الحضور النسائي في المقاهي إلى ظاهرة عددية أو تجارية، والدعوة إلى قراءته كتحويل رمزي دال على تحولات العلاقة بين الجندر والمجال العام في المغرب.

٢- التأكيد على أن تمكين النساء لا يُقاس فقط بوجودهن الفيزيقي، بل بمدى الاعتراف الرمزي والمؤسسي بهذا الحضور، وهو ما تفتقر إليه المقاهي في صيغتها الراهنة.

٣- نقد ازدواجية التمثلات في المجتمع المحلي والإعلام، التي تُظهر النساء كمرثيات مرغوبات، لكن دائمًا مشروطات بالصمت، الحذر، ومراقبة الانضباط.

٤- رفض منطق الحدائة الانتقائية الذي يدمج النساء في الفضاءات دون تفكيك التراتبية الذكورية، مما يُعيد إنتاج الهيمنة في أشكال ناعمة أو ليبرالية سطحية.

٥- المطالبة بإعادة بناء الفضاء العمومي بوصفه حقًا مدنيًا لا امتيازًا رمزيًا، يُضمن فيه حضور النساء من موقع الفاعلية، لا من موقع التزيين أو التفاوض القيمي.

* آفاق البحث المستقبلية

تكشف هذه الدراسة أن تأنيث فضاء المقهى يُمثل مدخلًا إشكاليًا لفهم التفاعلات بين الجندر، الفضاء العمومي، والتحويلات الرمزية في المجتمع المغربي. ومع ذلك،

يظل الموضوع مفتوحًا على عدة إمكانيات بحثية لم تُستوف بعد، مما يدعو إلى: -

١- القيام بدراسات مقارنة بين المدن المغربية (الرباط، الدار البيضاء، فاس، طنجة...)، لاستكشاف الاختلافات المجالية في تمثلات حضور النساء في المقاهي، وربطها بالبنية الطبقية والثقافية لكل مدينة.

٢- توسيع المقاربة لتشمل الفضاءات البديلة (مثل المكتبات، الساحات العامة، المقاهي الثقافية)، وتحليل كيف يُعاد ترميز الجندر داخل فضاءات ذات طبيعة غير تجارية.

٣- تحليل الخطابات الإعلامية والسينمائية حول المرأة والمقهى، باعتبارها تمثيلات رمزية تؤثر في تمثل المجتمع للحضور النسائي في الفضاء العمومي.

٤- مقارنة التجربة المغربية بتجارب مغربية أو عربية أخرى (مثل تونس أو لبنان)، مما يسمح ببناء إطار نظري أوسع لفهم تأنيث الفضاء العمومي في سياقات ما بعد الاستعمار.

٥- الربط بين تأنيث المقهى وسؤال السياسات الحضرية والحق في المدينة، انطلاقًا من مقارنة نسوية حضرية تُراهن على المساواة في الولوج، لا فقط في الحضور الشكلي.

٦- توسيع الحقول النظرية المستثمرة، عبر إدماج مقاربات مثل سوسيولوجيا الجسد، الأنثروبولوجيا الحضرية، أو نظريات ما بعد النسوية، لإضاءة زوايا جديدة من الظاهرة.

* المراجع

أولاً- المراجع العربية

هابرماس، يورغن. (1989). الفضاء العمومي: تحقيق في فئة من المجتمع البرجوازي. ترجمة: جورج كتورة. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

زروال، نادية. (2021). سوسيولوجيا الجسد النسائي في الأماكن العامة: دراسة حالة. مجلة المرأة والتنمية، ١٥(١)، ٨٧-١٠٤.

لعويد، محمد. (2022-2023). المشاريع الصغرى في المغرب: التحولات والإدماج - دراسة سوسيولوجية لقطاع المقاهي والمطاعم بالقيطرة [أطروحة دكتوراه غير منشورة]. جامعة ابن طفيل كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، المغرب.

ثانياً- المراجع الأجنبية

- Bourdieu, P. (1980). *Le sens pratique*. Paris: Éditions de Minuit.
- Bourdieu, P. (1998). *La domination masculine*. Paris: Seuil.
- Bourqia, R. (2020). *La modernité sélective: femmes et société au Maroc*. Casablanca: Éditions le Fenec.
- Fraser, N. (1997). *Justice Interruptus: Critical Reflections on the "Postsocialist" Condition*. New York: Routledge.
- Gill, R. (2007). *Gender and the Media*. Cambridge: Polity Press.
- Goffman, E. (1959). *The Presentation of Self in Everyday Life*. New York: Anchor Books.
- Goffman, E. (1963). *Stigma: Notes on the Management of Spoiled Identity*. Englewood Cliffs: Prentice-Hall.

يانغ، إيريس ماريون. (2000). العدالة والسياسة في ظل الاختلاف. ترجمة: سعيد بنكراد. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

بتلر، جوديث. (2006). الذات تصنع نفسها: الجندر كأداء. ترجمة: ناهد أبو غوش. عمان: دار الفارابي. المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي. (CESE). (2018). *وضعية المرأة في سوق الشغل غير المهيكل بالمغرب*. الرباط.

المنذوبية السامية للتخطيط. (2019). (HCP) المرأة المغربية في أرقام: مؤشرات اجتماعية واقتصادية. الرباط.

المجلس الوطني لحقوق الإنسان. (2021). (CNDH) تقرير حول المساواة وعدم التمييز في الفضاء العمومي. الرباط.

بن عاشور، سلوى. (2016). المرأة التونسية والفضاء العام: من الثورة إلى التحول الديمقراطي. تونس: دار الجنوب.

المرنيسي، فاطمة. (1990). شهرزاد ترحل إلى الغرب. الدار البيضاء: الفنك.

بنسعيد، فاطمة. (2020). النساء والتحولات الحضرية في المغرب. فاس: منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله.

العيساوي، سناء. (2019). التمثلات الاجتماعية للمرأة في الفضاء العمومي المغربي. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٣٤(٢)، ١١٢-١٣٦.